بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ لَا نَجَاةَ لِأَحَدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، أَيْ: سَالِمٌ مِنَ الشُّبُهَاتِ الْمُضَلِّلَةِ، وَالشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَلْبٌ يَخْشَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، كَثِيرُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾، أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ».

عِبَادَ اللهِ: هُنَاكَ مُفْسِدَاتٌ لِلْقُلُوبِ قَدْ تُسَبِّبُ مَرَضَهَا أَوْ مَوْتَهَا وَهَلَاكَهَا، يَجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَنِبَهَا، وَيُنَقِّيَ قَلْبَهُ مِنْ شَوَائِبِهَا وَأَدْرَانِهَا، وَمِنْهَا الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ.

أَمَّا الْمِرَاءُ: فَهُوَ الْمُخَاصَمَةُ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ظُهُورِهِ.

وَأَمَّا الْجِدَالُ فَعَلَىٰ قِسْمَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الْجِدَالُ الْمَحْمُودُ. وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ الْغَرَضُ مِنْهُ تَقْرِيرَ الْحَقِّ وَإِظْهَارَهُ بِإِقَامَةِ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَقَدْ جَاءَتْ نُصُوصٌ تَأْمُرُ بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْجِدَالِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِهَذَا الْجِدَالِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

الثَّانِي: الْجِدَالُ الْمَذْمُومُ. وَهُوَ الْجِدَالُ الَّذِي يَكُونُ غَرَضُهُ تَقْرِيرَ الْبَاطِلِ بَعْدَ ظُهُورِ الْحَقِّ، وَطَلَبَ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَقَدْ جَاءَتِ الْكَثِيرُ مِنَ النُّصُوصِ وَالْآثَارِ الَّتِي حَذَّرَتْ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْجِدَالِ وَنَهَتْ عَنْهُ، وَمِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًىٰ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾، وَقَوْلُه سُبْحَانَهُ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ النَّاظِرَ فِي أَحْكَامِ الشَّرْعِ وَتَوْجِيهَاتِهِ يَجِدُ أَنَّهُ حَرَّمَ الْجِدَالَ إِلَّا فِي حُدُودٍ مُعَيَّنَةٍ، وَبِضَوَابِطَ مَعْلُومَةٍ، أَمَّا الْمِرَاءُ فَقَدْ حَرَّمَهُ مُطْلَقًا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، سَاقَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ بِإِسْنَادِهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ قَالَ: أَنْ تُمَارِيَ صَاحِبَكَ حَتَّىٰ تُغْضِبَهُ. أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ [أَيْ: مَا حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا] لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ بِالْبَاطِلِ دَاءٌ خَطِيرٌ، يَدُلُّ عَلَىٰ الْكِبْرِ وَالْإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ، وَأَوَّلُ مَعْصِيَةٍ وَقَعَتْ عَلَىٰ الْأَرْضِ هِيَ الْكِبْرُ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ: أَنَّ الْمِرَاءَ أَكْثَرُهُ يُغَيِّرُ قُلُوبَ الْإِخْوَانِ، وَيُوَرِّثُ التَّفْرِقَةَ بَعْدَ الْأُلْفَةِ، وَالْوَحْشَةَ بَعْدَ الْأُنْسِ.

وَالْجَدَلُ وَالْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ سَبَبٌ فِي الضَّلَالِ بَعْدَ الْهُدَىٰ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًىٰ كَانُوا عَلَيْهِ

إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: «﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾».

وَالْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ مِنْ عَلَامَاتِ إِرَادَةِ الشَّرِّ بِالْعَبْدِ. أَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ»، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرًّا أَلْزَمَهُمُ الْجَدَلَ، وَمَنَعَهُمُ الْعَمَلَ. وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» عَنْ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْجَدَلِ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ، وَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْجَدَلِ.

الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ سَبَبٌ فِي حُبِّ الِانْتِصَارِ وَالِانْتِقَامِ مِنَ الْآخَرِينَ؛ حَسَدًا وَحِقْدًا عَلَيْهِمْ، أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يُوَفَّقَ وَيُسَدَّدَ وَيُعَانَ، وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللهِ وَحِفْظٌ، وَمَا نَاظَرْتُ أَحَدًا إِلَّا وَلَمْ أُبَالِ بَيَّنَ اللهُ الْحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِي أَوْ لِسَانِهِ.

وَهَذِهِ أَبْيَاتٌ جَمِيلَةٌ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْقَحْطَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي نُونِيَّتِهِ، فِي ذَمِّ الْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

لَا تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِدَالِ مُخَاصِمًا ... إِنَّ الْجِدَالَ يُخِلُّ بِالْأَدْيَانِ

وَاحْذَرْ مُجَادَلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا ... تَدْعُو إِلَىٰ الشَّحْنَاءِ وَالشَّنَآنِ

وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَىٰ الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ ... لَكَ مَهْرَبًا وَتَلَاقَتِ الصَّفَّانِ

فَاجْعَلْ كِتَابَ اللهِ دِرْعًا سَابِغًا ... وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمَيْدَانِ

عِبَادَ اللهِ: الْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ لَهُ صُوَرٌ كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا:

الْجِدَالُ فِي اللهِ ﷻ، أَوْ فِي آيَاتِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًىٰ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًىٰ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ»، وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ فِي «سُنَنِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمِشْكَاةِ»، عَنْ زِيَادِ ابْنِ حُدَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ إِيَاسِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أَخَذَ عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ إِنْ بَقِيتَ سَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: فَصِنْفٌ لِلَّهِ، وَصِنْفٌ لِلْجِدَالِ، وَصِنْفٌ لِلدُّنْيَا، وَمَنْ طَلَبَ بِهِ أَدْرَكَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ عِلَاجَ هَذَا الدَّاءِ الْخَطِيرِ يَكْمُنُ فِي تَرْبِيَةِ النَّفْسِ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ وَمَحَابِّهِ وَمَرَاضِيهِ، وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

تَرْكُ الْخُصُومَةِ: وَقَدْ سَبَقَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ [أَيْ: مَا حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا] لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا».

التَّحَلِّي بِالتَّوَاضُعِ: فَالْكِبْرُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ وَالْمِرَاءِ.

التَّرْكِيزُ عَلَى الْعَمَلِ: بَدَلًا مِنْ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ فِي الْجِدَالِ، يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَالتَّوْفِيقُ يَكُونُ فِي الْعَمَلِ لَا فِي الْجَدَلِ.

قَبُولُ النَّصِيحَةِ: مِنْ عَلَامَاتِ الرُّشْدِ قَبُولُ النَّصِيحَةِ، حَتَّى وَلَوْ جَاءَتْ مِمَّنْ هُوَ دُونَكَ.